

محتويات الفصل

تمهيد

I - مفاهيم عامة

I-1 المفاهيم المجالية

I-1-1 الفضاء

I-1-2 الفضاءات العامة

I-1-3 الشارع

I-1-4 boulevard النهج

I-1-5 الحدائق

I-1-6 الساحة

I-2 المفاهيم الحسية

I-2-1 الإدراك "La Perception"

I-2-2 التصور "L'imagibilité"

II - الدراسة التاريخية للساحات العمومية

II-1 الساحات في المدن الإغريقية << الآقورة - AGORA >>

II-2 الساحات عند الرومان << الفوروم Le Forum >>

II-3 الساحات في القرون الوسطى

II-3-1 ساحة دال كمبو بـ سيانا Del campo -Sienne

II-4 الساحات في عصر النهضة

II-4-1 ساحة القديس ماركوس بـ البندقية

II-5 الساحات بعد القرن السابع عشرة (عصر الباروك)

II-5-1 الساحات الاستعراضية الإيطالية

II-5-2 الساحات الملكية أو الأرستقراطية الفرنسية

II-5-3 الساحات السكنية الإنجليزية

II 4-5- ساحة القديس بطرس

II 6- الساحات في عصر الثورة الصناعية

II 1-6- تيار التخطيط المنتظم

II 2-6- تيار المثقفين

II 3-6- التيار الطوبوي Utopists

II 7- الزمن المعاصر (انطلاقاً من القرن العشرين)

II 1-7- الجيل الأول

II 2-7- الجيل الثاني (مرحلة بداية التهيئة)

II 3-7- الجيل الثالث

II 4-7- الجيل الرابع

II 5-7- الجيل الخامس (الشكل الحضري)

خلاصة

تمهيد:

الهدف من هذا الفصل هو إعطاء صورة واضحة عن مفهوم الساحة ومدى ارتباطها بتطور المجتمعات والشعوب، ويتضمن جزأين: الأول يتعلق بالمفاهيم والثاني يخص تطور الساحة عبر التاريخ.

I - مفاهيم عامة:**I-1 مفاهيم مجالية:**

تضم مجموعة مفاهيم لعناصر يمكن إدراجها ضمن فضاءات المدينة، من بينها الساحة ميدان الدراسة، والهدف من ذلك هو إبراز مدى التمايز بينها وبين المكونات الأخرى من الفضاءات العامة.

I-1-1 الفضاء :

صرح بيرتراند Bertrand أن الفضاء هو الشكل الأول للتفكير الإنساني والذي يعبر عن امتداد غير منته يحتوي و يحيط بكل شيء، كما يمكن إدراكه من خلال آلية تنظيم العلاقات القائمة بين مختلف العناصر الفيزيائية والتي تشمل الأشجار، المناخ، الأرض المباني...، بينما أشار إليه الجغرافيون بأنه القاعدة البيولوجية للأفواج الإنسانية والتي تشكل مسرحا لمختلف نشاطاته، أما بالنسبة للعلمانيين فالفضاء يهتم بالتفاعلات والتدخلات الإرادية والمنظمة للإنسان وهذا بغية تنظيم توضع الأشخاص والتجهيزات بما يمكن من تطور المدينة بشكل فعال ومنسجم. (Bertrand,1978)

I-1-2 الفضاءات العامة:

مفهوم عمراني حديث ومعقد، ولقد أخذ تعاريفا مقاربة مع مفهوم الفضاءات الحضرية، فعبّر عنه بأنه مساحة أو حجم أو امتداد مخصص للاستعمال العام. (Le Grand dictionnaire Larousse,1987)

كما عنت الفضاءات العامة أيضا الجزء غير المبني من الأملاك العامة والمخصص للاستعمالات الخاصة، وهي تضم فضاءات معينة كالشوارع، الساحات، الممرات المغطاة، النهج وغيرها، والمساحات الخضراء كالحضائر العامة، الحدائق الجوارية، المقابر...، في حين بعض العمرانيين يدرجون معها منشآت هامة كمحطات النقل، المراكز التجارية، التجهيزات

العامة... وبمفهوم أوسع الفضاءات العامة تعبر عن أماكن مفتوحة لكل الشرائح الاجتماعية والتي تكفل لهم الالتقاء، التبادل، السياحة، الحركة، الانتظار. (Pierre et Choay, 1986, p295) لقد صرح سابلي (Sablet) أن الفضاءات العامة هي مجموعة الأماكن ذات الملكية العامة أو الخاصة والموجهة لاستعمال الجميع، وقد تعبر عن فضاءات مفتوحة على الهواء الطلق أو مغطاة (Sablet, 1988, p13).

لقد تعددت مفاهيم الفضاءات العامة، كما أخذت أسماء مختلفة مثل الفضاءات الحضرية، الفضاءات الخارجية... إلا أنها تصب في مفهوم واسع يشمل جانب فيزيائي يعبر عن ذلك الفراغ المحدد بالمباني المحيطة به، وجانب روحي يعبر عن مختلف العلاقات وأنشطة الحياة الاجتماعية والخاصة في المدينة.

I-1-3 الشوارع :

هو أحد أشكال الفضاءات العامة، حمل عدة مفاهيم اختلفت حسب الزمان والاستعمال، فلقد عرف بأنه فضاء سكني يعبر عن فراغ ممتد والذي تتوضع على جانبيه مختلف العناصر المعمارية ذات الجوانب المتراسة والمتباينة، وهو يختلف في مفهومه عن الطريق كونه يكفل الاتصال بين الأفراد والجماعات ويحقق التفاعل بينهم، وهذا ما جعله يجسد الحياة الاجتماعية والتعايش بين الأفراد "... إنه انطلاق من اللحظة التي تتوزع فيها الكتل المبنية على حافتي الطريق ، فان الطريق يستحق اسم شارع..." (Mangin et Panerai , 1999, p57).

والشارع عنصر مجالي يتم إدراكه من جانبيين هما: الفيزيائي والروحي، الأول يتناوله على أنه طريق يتوزع على جانبيه مجموعة منازل أو مباني، قد يتخذ امتدادات منتظمة أو غير منتظمة، ويكون واسعا أو ضيقا، فيعمل على حركة الهواء و تغلغل النور إلى المباني، كما يسمح باكتشاف المظاهر العمرانية والمعمارية للمدينة، أما الجانب الروحي للشارع فيتجلى من كونه عنصرا أساسيا لكل الثقافات الحضرية منذ الأزل حيث سمح بممارسة مختلف أشكال الحياة الاجتماعية (Pierre et Choay, 1986, p594) .

I-1-4 النهج boulevard :

كلمة النهج أشارت قديما إلى القلاع، وبعدها دلت عن الساحة القوية وذات الموقع الاستراتيجي، ثم عنت أماكن التنزه، لتدل أخيرا عن الطريق العريض والذي تتراصف على

جانبيه الأشجار، ولقد عرف أول ظهور للنهج في فرنسا زمن حكم لويس الثاني عشر في القرن التاسع عشر، كما دل النهج أيضا عن فضاء ذو مقاييس خاصة والذي يتميز بتوزع تجهيزات عالية المستوى على جانبيه ويأخذ مبادئ هامة في تصميمه، أما الوظيفة الرئيسية له فهي حسن تقسيم المساحات وكذا تنظيم تهيك الأشكال المبنية، كما يعمل على التنظيم الجيد للنسيج الحضري وهذا من خلال خلق أماكن للفسحة والالتقاء، ومن جانب آخر يعمل على توفير حركة تجديدية للهواء ويقدم استمرارية للعناصر النباتية، بذلك يعمل على ربط المسافات والأماكن البعيدة و يسهل الوصول إليها. (Mangin et Panerai,1999,p65)

I-1-5 الحدائق :

فضاء عام ذو أهمية خاصة في المدينة وهذا لسيطرة العناصر الطبيعية عليه، ويعبر عن مساحة مسورة تنتشر عليها النباتات والأشجار، كما يمكن أن تضم مبان بتصاميم مختلفة تعمل على أداء وظائف وخدمات متنوعة (ثقافية، رياضية، سياحية...) كل ذلك خدمة لمستعمليها والذين يقصدونها للنزهة والاستجمام، وتكون الحدائق مفتوحة للجميع بشكل دائم أو حسب المناسبات، وهي في الغالب ملك للدولة، كما أنها تتواجد على أنواع مختلفة وذلك حسب الحجم، الموقع والوظائف والخدمات التي تقدمها، فتشمل الحدائق العمومية، الحدائق الجوارية، الحدائق الحضرية... كما يمكن أن تضم الغابات والموارد الطبيعية المختلفة، كما أن الحدائق تعبر عن المظهر الطبيعي الذي يقصده المستعمل هروبا من زحمة المدينة و تلوث الجو.

(Pierre et Choay,1986,p594)

I-1-6 الساحة :

الساحة كلمة ذات أصل لاتيني بلاريا (plarea) بالفرنسية (Place) وعند الإيطاليين (Plaza)، مصطلح أطلق على أحد أشكال الفضاءات العامة والذي أخذ مفاهيم عديدة حسب الزمن والمكان ووجهة نظر المختصين (Bertrand et Listowski,1984,p7).

الساحة عند علماء الاجتماع تحمل أكثر من مدلول المركز الطبوغرافي لمجموعة من السكنات، بل تعني لهم المكان الاجتماعي الذي حوى قديما الشعائر الدينية والاجتماعات عند المناسبات، أشار لدرت (Ledrut) للساحة بأنها نقطة استقطاب ومركز المدينة الذي تجتمع فيه المباني الهامة والذي يؤدي وظائف جماعية عامة، وهي أيضا فضاء يحمل عند السكان دلالة

عن المكان الذي انطلقا منه تجري كل تطورات المجتمعات الواسعة والمختلفة كما يسمح بالتعبير عن الاختلافات الاجتماعية. (Ledrut,1986,p151)

والساحة بالنسبة للمعماريين هي ذلك المكان الذي تنتصب عليه المباني الهامة، والذي يعمل على إبراز مختلف القيم الجمالية والفنية للمباني (Jakorljevic,1964)، وهي ذلك الفضاء الناتج من تموضع المباني الهامة حول فراغ حر، وهي مكان مفتوح على الهواء الطلق، أما أهميته فتتغير حسب الثقافات والعصور وأشكال الحياة الاجتماعية، كما ارتبطت بتطبيقات سياسية، اجتماعية، ثقافية ومجالية، في حين شكلت رمزا للمدن القديمة، وفي تعريف الفوروم يقول Sitte عن فيترريف (vitruve): " الفوروم...مكان الاجتماعات في السماء المفتوحة والذي يملك تعابير معمارية وجمالية محضرة... " (Sitte,1922,p24).

الساحة هي نتيجة جدلية بين المبني والفراغ، فضاء متلاحم ومحدود، كما يملك عناصر داخلية قابلة وجديرة بجذب السكان، وهي أيضا فضاء توزيعي يطرح علاقات مع التشكيلات الحضرية المحيطة به. (Pinon,1991,p34)

"الساحة...هي محطة التوقف النفسي في المظهر الحضري... " (Zucker,1959,p54) .

والساحة من وجهة نظر مجالية عبر عنها Bertrand بأنها علبة عالية الحواف تحمل شكلا دائريا أو مستطيلا أو مربعا أو بيضويا...، وتكون مفرغة أو مملوءة، وكذا مفتوحة أو مغلقة. (Bertrand et Listowski,1984,p30)

إن مفهوم الساحة يتعدى مفهوم الفراغ أو المجال، فهي فضاء للحياة الاجتماعية والتعايش بين الأفراد، حيث تدور فيه مختلف الأنشطة الخاصة بالحياة الاجتماعية. (Sablet,1922,p13)

لقد أخذت الساحة أسماء مختلفة واستعمالات عديدة: الآفورة "Agora" عند الإغريق، والفوروم "Forum" عند الرومان، كما سميت بـ الرحبة "Parvie" في مدن العالم الإسلامي، بالإضافة إلى ذلك حملت اسم السوق لتخصصها بالتجارة.

ولفهم أعمق لطبيعة الساحة نقدمها من وجهة نظر تاريخية على أنها ذلك المكان الذي ولد حاجة الجميع إليه للتجمع أمام مقر للسلطة أو مبنى ديني أو ميدان مخصص للتبادل التجاري، وهي مكان كفل التبادل والالتقاء داخل المدينة، وعموما تبقى الساحة بالرغم من تعدد تعاريفها تعبر عن مكان معروف اجتماعيا، فالجميع يعرفها من خلال اتفاق عملي لمظهر مجالي يحمل

تسمية، هذا الاتفاق لا يتأسس فقط من الاستعمال أو الأنشطة أو التجارة أو المباني والتجهيزات المحيطة بها، بل كذلك من الشكل الحضري لها، فتظهر بذلك واضحة وبدون غموض وهذا باختلافها وتميزها عن النسيج المحيط بها.

I-2 مفاهيم حسية:

وهي مجموعة مفاهيم تتناول انفعالات الإنسان وسلوكاته داخل الفضاء، كما أنها تعبر عن حالته النفسية، وسيتم تناولها لأنها تقدم لنا فكرة عن ردة فعل الإنسان على المحيط الذي يحويه.

I-2-1 الإدراك " La Perception "

إن اكتشاف وتحسس الإنسان لمحيطه يعبر عن انتقال مجموعة من المعلومات الخارجية إلى عقل الإنسان وذلك عبر آليات الحس البصري، السمعي، والحركي...، وهو ما يكون صورة واضحة عن طبيعتها، كما يمكنها أن تخلق انفعالات بداخله معبرة عن وضعيته وحالته داخل مجال تواجهه... الإدراك هو منهج وطريقة تبدأ بالإحساس وتتطور إلى عمل معبر وبلغ... " (Wieczorek,1984,p137).

إن إدراك الفضاء هو القدرة عن الإحساس والرغبة في تمثيل أو احتلاله أجزاء منه، وهو يستدعي ويتطلب معارف وتجارب الأفراد، كما نجد أن العناصر المرئية في الفضاء تخلق مشاعر موضوعية في حين العناصر غير المرئية التي تتمثل في ذاتية الفرد وتترجم ميولاته وطموحاته، وهذا ما يخلق تآلف الفرد مع محيطه، في الواقع أحاسيس الإنسان ومشاعره قد تظهر في تصرفاته، كما أن انفعالاته هي نتيجة مؤثرات خارجية يتلقاها من المحيط والتي تثيرها عناصر مرئية مثل: اللون، الشكل، الحركة...، ويبقى أن إدراك الإنسان وتحسسه للفضاء يتم بواسطة أنظمة الإبصار، السمع، اللمس، الحركة... (Fischer,1981).

I-2-2 التصور "L'imagibilité"

إن الأشياء والجوانب الفيزيائية تعرض صوراً والتي من خلال وضوحها وانسجامها تقدم إدراكاً واضحاً ومفهوماً عن الشيء المعروض، ولقد عبر عن ذلك بالتصور، والذي اختلفت مفاهيمه عند المختصين، (Lynch) يرى بأن الأشياء الفيزيائية تملك نوعية مميزة، بسببها يصبح لها خطوطاً كبيرة تسبب صورة قوية عند الملاحظ، ويكون ذلك من خلال اللون، الشكل والموضع... وهو الأمر الذي يخلق صورة ذهنية عن المحيط المعرف جيداً والمهيكل بقوة،

والذي يعرض منفعة كبيرة، وأن التصور هو منهج التوصل السريع إلى الإدراك القوي للأشياء، ويقترن مع درجة القراءة (lisibilité) ودرجة الرؤية (visibilité) اللذان يعبران عن خصوصيات التفكير في النوعية البصرية الخاصة بالأشياء، ويضيف أن المظهر الواضح يعني السهولة التي من خلالها يمكن معرفة العناصر وتنظيمها في مخططات متلائمة. (lynch,1969)

والتصور هو الخطوة الأولى المسؤولة عن التعبير عن الدلالات الداخلية، وذلك بخلق صورة من خلال وضوحها وانسجامها وشكلها يمكنها تقديم إدراك قوي عن المظهر، "...الصورة ليست الدلالة ولا الرمز فقط، بل الأفضل له أن تقوي المضمون والوظيفة، أما الدلالة المصرح بها والصورة المعكوسة فلا تمثل أي شيء آخر عدى نفسها..." (Schulz,1975)

ويعد التصور وسيلة لاكتشاف الدلالات والرموز التي تبديها مكونات الفضاءات الخارجية، وهو ضروري للتعبير عن التصميم العمرانية والمعمارية، كما يمكن الملاحظ أو المشاهد من تركيب الصور التي تخلق لديه انطباعات وانفعالات داخلية، كما يترك ذلك أثرا على سلوكياته ويحفز ذاكرته، وهو ناتج عن عمليات التغيير الوضعي في المجال، في حين الصورة بالنسبة للأفراد والجماعات هي تمثيل ذهني عام وشامل عن العالم الخارجي والذي يؤدي إلى إنتاج أحاسيس مباشرة ويخلق ذكريات وتجارب ماضية تعمل على توجيه السلوكيات والحركات كما تشرح معلومات المحيط (Pierre et Choay,1986,p594).

نتيجة:

الساحة تركيبية مجالية حملت عدة مفاهيم والتي تدور في مجملها حول جانبيين مهمين لها، الأول كونها فضاء تحيط به مجموعة المباني الخاصة والمهمة وذات الصفة المعلمية، أما الثاني فيتعلق بالجانب الاجتماعي والوظيفي لها، أي أنها مكان للعلاقات الاجتماعية المختلفة، في حين كلتا الجانبان مكملان لبعض ويقدمان مفهوما أعمق للساحة.

يظهر أن الساحة فضاء عام مميز عن باقي الفضاءات العامة الأخرى، فهي تختلف عن الحدائق بكثافة الغطاء النباتي لهذه الأخيرة وكذا حجمها، أيضا الساحة قدر لها لاحتلال أماكن استراتيجية ومركزية في المدينة، أما تميزها عن الشارع فهو من ناحية الشكل والوظيفة، بالرغم من ذلك يبقى الشارع الفضاء الذي يحتل النسبة الأكبر من المدينة بينما الساحة عنصر ضروري له كمنظم للحركة في نقاط التقاطعات المعقدة والكثيفة، لتشكل بذلك الساحة نقطة

توزيع أو تجميع للحركة، حتى أن أحد تعاريفها تناولتها على أنها اتساع للشارع، أما النهج فهو أقرب للشارع من الساحة، بالرغم مما تم عرضه تبقى الساحة ومع بقية الفضاءات العامة تعبر عن فضاءات المدينة والتي تساهم في هيكلتها وتنظيمها.

أما بالنسبة لجانب الإدراك والتصور فإن الساحة عنصر مجالي يمكن من ملاحظة وتصور العناصر الفيزيائية المتوزعة فيها أو حولها، كما تمكن من اكتشاف بعض سلوكيات الأفراد والجماعات وكذا التعرف على ثقافة وعادات الشعوب.

II - الدراسة التاريخية للساحات العمومية:

إن الدراسة التاريخية للساحات العمومية أمر مهم في إدراك التغيرات على مستوياتها، كما يساعد ذلك في تحديد مختلف الوظائف التي كانت تؤديها سواء من الناحية الاجتماعية أو الوظيفية، أيضا تعمل على إبراز التغيرات التي طرأت على أشكالها ونماذجها، فتقدم بذلك بعض الإجابات عن المشاكل والتساؤلات حول أهمية هذه الأماكن.

إن دراسة تاريخ الساحة يمكننا من إبراز الدور الذي لعبته خلال كل حقبة زمنية، ويمكن استخلاص ما يلي:

أصل الساحات يبرر موقعها الجغرافي، شكلها والعلاقة الكائنة بينها وبين الدور الذي لعبته. معرفة المراحل التي سجلت تشكل الساحات، وكذا التغيرات التي ترشدنا إلى الوظائف المتأتمية عنها.

- تحليل الخرائط والمخططات يمكن من معرفة حركة التدفقات عبر مختلف الفضاءات العمرانية من الشوارع، الممرات، الطرق وغيرها إلى الساحات.
- الدراسة التاريخية تسمح بمعرفة نشأة الساحات والتغيرات التي طرأت عليها وخضوعها لدراسة مسبقة أم أنها نشأت عبر تطورات زمنية متلاحقة.

II-1 الساحات في المدن الإغريقية << الآقورة - AGORA >> :

تنظيم الفراغ في المدن الإغريقية يكشف عن القيم الاجتماعية لهذه المدن، والتي تنتظم في شكل مجموعة مبان تتوزع حول ساحة رئيسية أطلق عليها اسم الآقورة، " الآقورة هي الشكل الأول غير الريفي لا ديني أو رمزي على الحصر لمكان حضري لممارسة الحياة المدنية الجماعية والمنظمة... " (Schulz,1977,p 70).

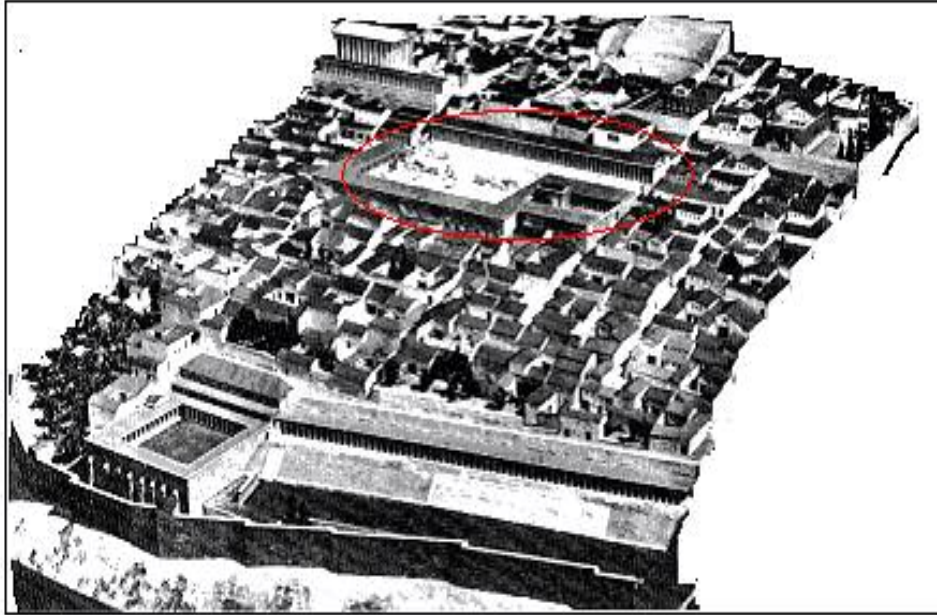
والآقورة عبارة عن ساحة مركزية تتوزع عليها مبان عامة كالمعابد، المسرح، المحكمة وغيرها، مشكلة مركزا للمدينة والذي يعمل على تقديم مجموعة من الوظائف المختلفة، كما تعد مكان للمبادلات السياسية حيث تجري عليها التجمعات الشعبية والمناقشات السياسية، كذلك هي مقر المبادلات الثقافية، اكتساب المعارف، تبادل الأخبار والمعلومات، بالإضافة إلى ذلك يقصدها الناس قصد التبادل التجاري، حيث فيها تعرض السلع والمنتجات الزراعية، لذلك فإن مختلف هذه الوظائف المتنوعة جعلت منها رمزا للحياة الاجتماعية في المدينة الإغريقية... (Sablet,1988,p 21).

لقد عرف تنظيم الآقورة وشكلها تطورات متتالية، ففي بادئ الأمر كانت عبارة عن سهل واسع غير واضح الحدود، تنتشر حوله مبان عامة كالمعابد، المحلات، ثم ازدهرت الآقورة بعد القرن الخامس قبل الميلاد (05 ق م) أين عرفت أثينا ازدهارا عمرانيا تحت الحكم الديمقراطي حيث أصبحت التجمعات السياسية والنقاشات حول دواليب الحكم تجرى في الآقورة، كما أنه خلال هذه الفترة تم بناء معابد جديدة والأروقة المغطاة المخصصة لحماية المارة من أشعة الشمس والتي عرفت باسم ستوا (Stoa)، أما في فترة العالم الهليني فلقد تم إنجاز معبد أبولو بطرس (Apollo-patros) الجديد وكذا إحداث تعديلات في زوايا المعبد الجنوبي، لقد استمر البناء على محيط الآقورة معطيا لها شكلا مستطيلا ومحولا هذه الساحة المفتوحة إلى فضاء عمراني مغلق، كما صارت تنتشر عليها مجموعة تماثيل ونافورات وتم غرس الأشجار بها، كل هذه التغييرات جعلت منها فضاء أكثر جمالا واستعمالا من طرف الجمهور (Sitte,1922).

لقد شكلت الآقورة قطبا مشعا في المدن الإغريقية، فيها يكتسب الناس الثقافة والمعارف وتتم النقاشات السياسية والفلسفية، كذلك يكتشف تاريخ المدينة ويتعرف على الأباطرة وأهم المعارك والانتصارات وذلك من خلال رسومات منحوتة على جدران أحد أطرافها وكذا تماثيل الأباطرة والعظماء الرائعة النحت والمنتشرة على أجزاء منها.

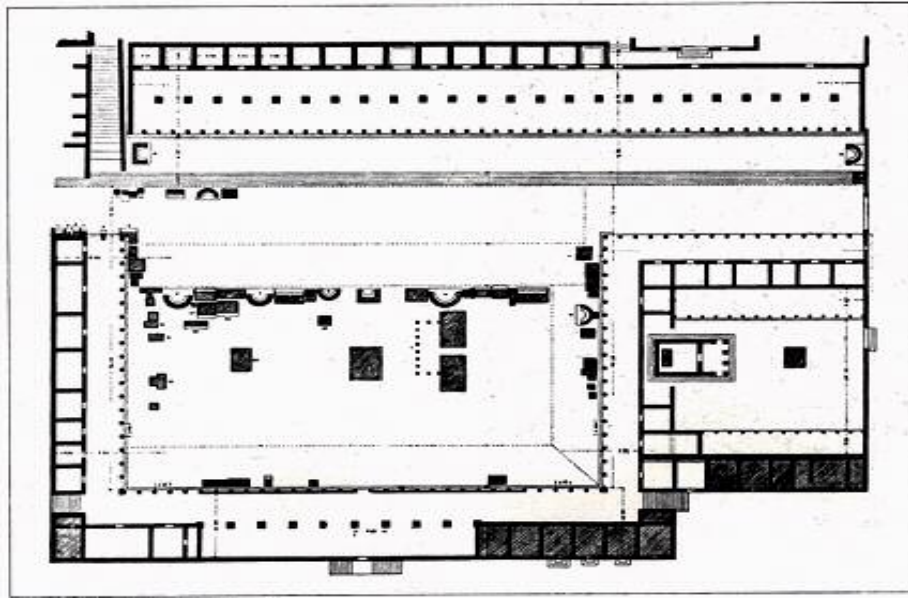
الحياة اليومية والاجتماعية لا تتوقف في الآقورة، فعليها تجرى الاحتفالات بالنصر ومختلف التظاهرات والمنافسات الرياضية، كما يقصدها الناس من مختلف أرجاء المدينة لاقتناء المؤونة أو عرض سلعهم، نقل تشولز عن أحد المؤرخين الذي قال فيها: "...ليت ساحرا يعيد لنا الحياة في الآقورة، يعيد لنا ضجيج الباعة وحديث المارة، المناظرات السياسية والعلمية وتلك

النقاشات تحت الأروقة المظلمة... " (Schulz,1977,p195). كما إنه ليس من الصدفة صك صورة للأقورة على وجه النقود الإغريقية، فهي رمز هذه المدن والحياة الاجتماعية فيها، والتي اكتسبت هذه المكانة من تعدد الوظائف التي قدمتها وكذلك ترابط وتوزيع المباني الهامة حولها، وهذا ما جعل منها مقصد العامة والخاصة، أما فضاؤها المغلق فإنه يترك لزيارتها متعة التمتع بمزاياها وجمالها، كل تلك الجوانب وضعها في مرتبة قال عنها تشولز: " الأقورة هي ساحة ذات مستوى عال " (Schulz,1977,p70). أما بالنسبة لحرية التجارة في الساحة فيصرح مامفورد نقلا عن أحد شعراء الإغريق قائلا: " كل شيء في الساحة، الخضر والشهادات القضائية، التفاح واليد العاملة، الورود والنصوص القانونية... ". (Mumford,1964,p167).



الصورة 01: مجسم يوضح شكل أقورة أثينا

المصدر: Schulz,1977,p71



المصدر: Schulz,1977,p71

الشكل 01: مخطط للآقورة أثينا

II - 2 الساحات عند الرومان << الفوروم Le Forum >>:

تظهر المدن الرومانية أكثر تصميمًا من المدن الإغريقية، فهي تبدو على شكل نسيج متراس مقسم إلى أربع أجزاء متساوية بواسطة محورين متعامدين هما الكاردو (Cardo) الممتد شمال-جنوب والدوكيمونيس (Decumanus) الممتد شرق-غرب، واللذان يتقاطعان في نقطة تمثل مركز المدينة، بالقرب منها يتواجد ميدان تتوزع حوله مباني عامة كالمعبد، المحكمة، مجلس الشيوخ... والذي عرف باسم الفوروم (forum)، أما المنازل والمباني الخاصة فتتراس على حافتي شوارع ثانوية موازية للمحورين الرئيسيين والمنتهيين بأربع بوابات على سور محيط بالمدينة. إن تصميم المدن الرومانية برسوماتها المنتظمة والخطوط المتوازية هو ما ميز العمران الاستعماري حينها، إذ يشابه النمط الذي بنيت عليه روما. (Schulz,1977,p84).

وكلمة فوروم (forum) حسب القدماء مشتقة من فعل أحضر (ferre) أي أن الناس يحضرون السلع إلى الساحة، وهناك فرضية أخرى تقول بأنها مشتقة من كلمة (focus) بمعنى خارجي، والفوروم ينقل نفس مبادئ الآقورة (Agora) لكن في روما يظهر كساحة أكثر تخصصًا وتكاملاً، فهو لا يتعلق بساحة عامة بسيطة محاطة بمباني تجميلية وهامة وإنما هو مكان ذو خصوصية ارتبطت بالحياة المدنية والاجتماعية للمدينة. (sablet,1988)

والفوروم شكل معقد يتكون من المباني العامة كالمعابد، المحاكم، الفنادق، منازل الكهنة، غرف الاجتماعات وساحات حرة وسطية تلقى فيها الخطب، فيظهر بذلك كساحة مغلقة

سيت نقلا عن فيتريف (vitruve) الذي قال: " الفوروم... لا يعتبر بهذا الشكل مسرحا تحيط به المباني، بل يمثل القلب النابض للمدينة الرومانية وعنصرا مهيكلا لها، وهو ضروري لها مثل الفناء بالنسبة للعائلة داخل المسكن...". (Sitte,1922,p9)

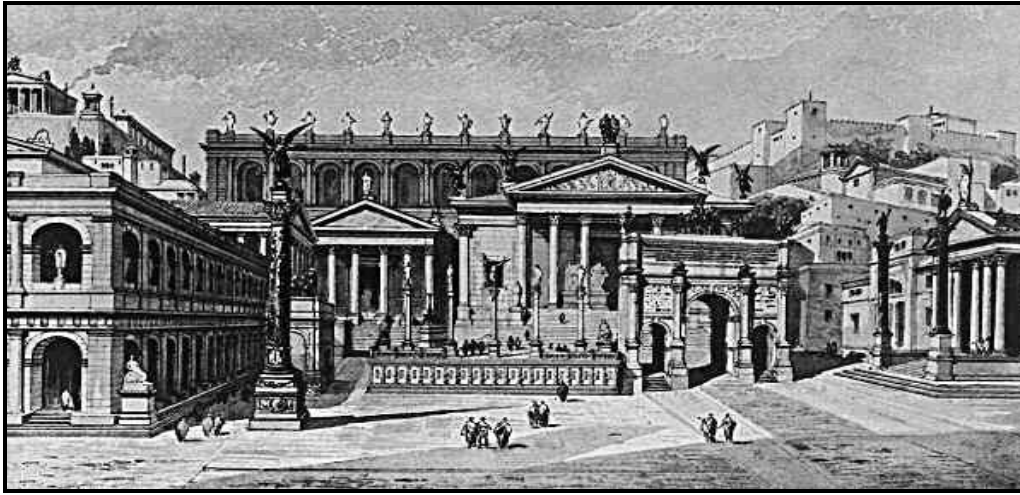
في مدينة روما إحدى أرقى مدن الإمبراطورية الرومانية، الفوروم يقع على مسافة 500م من مدينة التيبير (Tibre) المبنية على امتداد النهر، وهو محاط بسلسلة من المباني الهامة والنصب التذكارية التي تخلد أبطرة تولوا على حكم روما، كما يضم كذلك محلات تجارية محمية من أشعة الشمس بأعمدة وأروقة مغطاة تسمح بمرور المارة تحتها تدعى ستوا (STOA)، أما ميدانه فهو أرضية مبلطة ذات شكل مستطيل أبعادها 100م x 60 م، وعنده تنتهي طرق وشوارع المدينة بحاجز من الأعمدة الحديدية والحجرية والتي تمنع العربات من التغلغل بداخله (الصورة 03)، في حين تنتشر به مجموعة من التماثيل فائقة النحت، كما تتواجد به أربعة نافورات، ويجاور الفوروم مبنى الكنيسة المخصص للاجتماعات والمحاکمات في الظروف المناخية السيئة. (Schulz,1977)

والحياة العامة والمدنية على الفوروم (Forum) تظهر أكثر نشاطا وحيوية، حركة المشتريين أمام المحلات، تجمهر الناس أمام المحاكم والبنوك، استعراضات الرياضات القتالية، وعليه يتم جمع الضرائب وعرض قوانين الحكم على السكان، كما يقف الشعراء لعرض شعرهم، لقد كان يمثل الرمز والقلب الحي في المدينة الرومانية ومثالا للحياة المدنية والاجتماعية، فقال سيت عنه: "... فوروم روما هو مركز الحياة المدنية ليس في روما فحسب وإنما الإمبراطورية الرومانية جمعاء...". (Sitte,1922,p25)

لقد عرفت روما إنجاز العديد من الساحات العمومية (forum) أشهرها فوروم قيصر (Cesar-46 ق م)، فوروم أوغست (August-42 ق م) (الصورة 02)، فوروم فيسبيا زيان 75 م، كما عرف الفوروم تخصصا في وظائفه، إذ نجد فوروم روما موجه للأنشطة السياسية، القضائية، الدينية والشعبية، وكذلك يتم عليه جمع الضرائب، ويجاوره فوروم آخر مخصص لتجارة البيض والأسماك، وهناك نوع ثالث موجه لاستعراض الجند وقتال المصارعين، كما يتم عليه إجراءات الإحصاء والتصويت، بالإضافة إلى ذلك يتواجد بالقرب من الفوروم الروماني ساحة صغرى كانت مخصصة لتجمع القضاة عرفت باسم كوميتيوم (Comitium).

ويقرر مامفورد (Mumford) بخصوص مساحة الفوروم يلح بالخصوص على إظهار التوازن بين استعمال هذا المجال وحجمه، في حين يدعم هذه الفكرة فيتريف (Vitruve) بأن أبعاد الفوروم تحسب بدلالة حجم السكان أو على الأقل الميدان الطبيعي المتوفر والمحصور بين الأبنية العامة. (Mumford,1964).

مما تم ذكره يظهر أن فوروم روما منفرد بشكله ووظائفه حتى قيل عنه: "...إنه هنا الأكثر جمالا في الساحات العامة في العالم اللاتيني..." (Schulz,1977,p288).



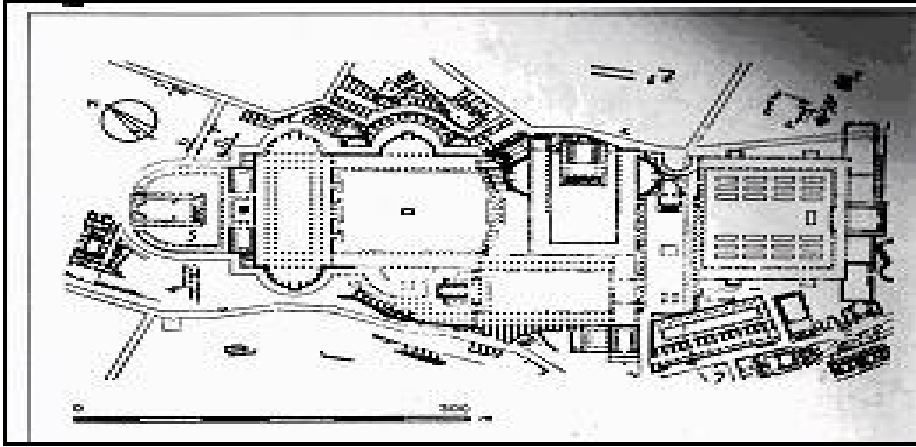
المصدر: Encarta 2003

الصورة 02: منظر لفوروم أغسطس



المصدر: Mumford, 1964

الصورة 03: صورة من أطلال للفوروم



المصدر: Schulz, 1977

الشكل 02: مخطط للفوروم الروماني

II- 3 الساحات في القرون الوسطى :

تظهر المدن الأوروبية في القرون الوسطى في شكل نسيج متراس وبشوارع غير منتظمة، تتوزع عليها مبان متعددة الطوابق، كما يحيط بها سور لحمايتها من الهجمات الخارجية، أما المباني العامة ومنازل الطبقات الراقية فتتركز في وسط المدينة، بينما الفقراء يسكنون في المحيط، في حين الفضاءات العامة في المدينة فتتملك تراكيب معقدة، وتقع تحت سلطات مختلفة والمتمثلة في الحاكم البلدي، رجال الدين والأساقفة... بالمدينة تنتشر مراكز عديدة يبرز من بينها المركز الديني تحت إشراف الكاتدرائية أو الكنيسة والمركز المدني يدعمه مبنى دار البلدية ومركز آخر تجاري يتمثل في ساحة السوق، ويجاور الكنيسة أو الكاتدرائية ميدان عام يمثل ساحة عامة، عليها تجرى الاحتفالات والمراسيم الدينية ويتجمع الناس لاستماع خطب ومواعظ رجال الدين " الأسقف أو البابا "، لكن هذه الميادين في نظر الكثيرين لا تستحق لقب ساحة عامة لكونها جزء من فراغ عمراني تابع للكنيسة أو الكاتدرائية وليست لخدمة الصالح المدني العام ككل. (Mumford, 1964)

تشرف دار البلدية على ساحة عمومية، والتي يحيط بها قصور ومنازل عظماء الدولة وشرفائها، وهي ساحة بأرضية مبلطة تنتشر بها تماثيل ونافورات تتخذ أشكالاً مختلفة، أما مساحتها فهي مجسدة بأبعاد غير كبيرة نتيجة الصراع على الفراغات داخل المدينة المحدودة بالسور، كما أنه فيها يتجمع الناس ويتعرفون على القوانين المعلنة، أيضا يجرون عمليات التصويت ويستمعون إلى خطب الحاكم أو رئيس البلدية وذلك من على مقصورة مرتفعة من مبنى البلدية والتي تخضع الساحة لحراستها ورقابتها.

أوروبا القرون الوسطى تميزت الحركة الاقتصادية فيها بالتخصص في الإنتاج وتقسيم العمل، مما أدى إلى تراكم السلع، فنتج عنه ازدهام للتجار والحرفيين في الشوارع الضيقة واتسعت تاركة ميدانا مشتركا بينها مشكلا ساحة السوق، وهي ساحة تدور فيها مختلف المبادلات التجارية، كما مثلت قلب المدينة التجاري والواقع بالقرب من الطرق الرئيسية لها، وفي حالات أخرى تقع عند المداخل للتجارة الخارجية، وساحة السوق ميدان مبلط تدور فيه الحياة المدنية العامة، كما يقصدها مختلف الناس لاقتناء السلع والمنتجات الزراعية والأغذية، حيث تتم المبادلات عن طريق الشراء أو المقايضة، وفيها أيضا يتنافس الفلاحون والحرفيون لاحتلال أماكن بها أو كراء محلات قريبة جدا منها. (Mumford,1964)

لقد تميزت الساحة خلال هذه الفترة بالأشكال المختلفة والمساحات المتفاوتة، التي تنتهي عندها العديد من الشرايين والطرق الثانوية، تحيط بها عادة ولا تخترقها، كما تحيط بها منازل عالية الارتفاع على حوافها، وكذلك يظهر أيضا شكل آخر من الساحات وهي تلك المتواجدة أمام فندق المدينة التي تعمل على إبراز واجهة هذا المبنى العام كما تسمح بتجمهر الناس فيها، وهي غالبا تتواجد بالقرب من ساحة السوق.

لقد تواصلت الحياة العامة في الساحات العامة التي احتفظت بدلالاتها الرمزية تاركة علاقات طبيعية بين الساحة والمباني المحيطة بها، ومشكلة اعتزاز وفخر الماضي، ومن أشهر ساحات هذه الفترة ساحة Del compo. (الصورة 04، الشكل 03)

II - 3- 1 ساحة دال كمبو بـ سيانا Del compo - Sienna :

سيانا "Sienna" أحد أروع المدن الإيطالية لا تزال تحتفظ بشكلها الأصلي الذي يعود إلى القرون الوسطى، هذه الأخيرة تتميز بنمط معمارها الذي ينسب إلى الفن القوطي، ولقد بنيت المدينة على ثلاث ربوات تلتقي عند نواة مركزية أين توجد أكبر ساحات المدينة عرفت بساحة Del compo.

ساحة Delcompo ذات الموقع الاستراتيجي شيدت عام 1338م على أرضية نصف دائرية بشكل يشبه الصدف (الشكل 03)، وأرضيتها مبلطة بالأجر الأحمر والذي ساعد في حمايتها من آثار الأمطار، بذلك مكن من سهولة الحركة عليها، ويرتسم على الأرضية نظام من الخطوط يشبه شكل المروحة تقسمها إلى تسعة قطاعات دلالة رمزية عن عدد أحياء المدينة حينها، أما

حركة العربات فنتم على طريق يحيط بالساحة ولا يتغلغل بداخلها وهذا لوجود أعمدة تحول دون ذلك، كما تحيط بالساحة مجموعة مبان تحدد شكلها، وهي الأخرى مبنية بالأجر الأحمر، وهذا ما أحدث تناغما لونها بينها وبين أرضية الساحة وجعل منها تركيبية موحدة، بذلك تبدو الساحة أكثر من أرضية أو فراغ بل عبرت عن فضاء مهيكلا ومندمج مع محيطه.

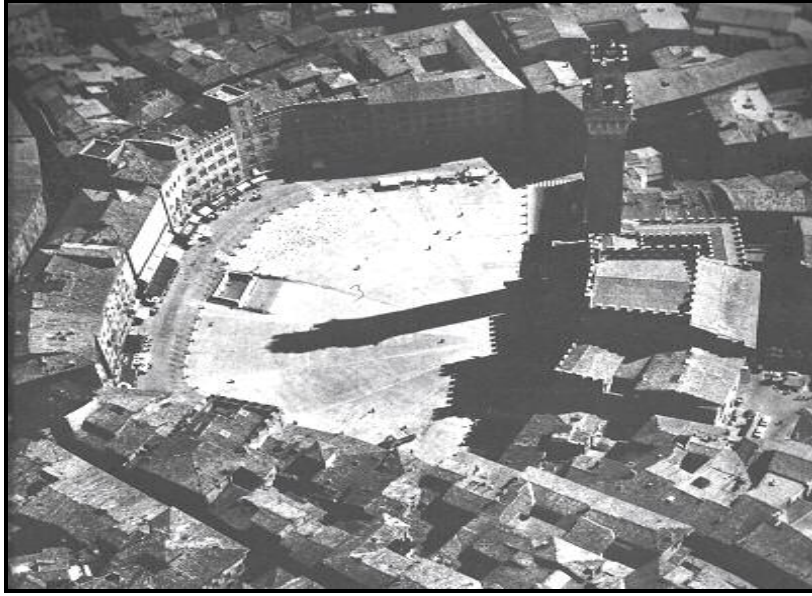
(Schulz,1977)

تعد قلعة منجيا (tour-del-mangia) عنصرا مهيكلا للساحة، وتتميز ببرجها المرتفع والذي يشكل معلما استدلاليا يحدد موقعها، أما الواجهات المشرفة على الساحة فهي هادئة ومنسجمة تترك فتحات ونوافذ متشابها، وهذا ما أكسبها انسجاما وتناغما بين المبني والفراغ، الكنيسة،الفندق ومبان القديس تعد أهم المباني العامة المحيطة بها، والتي خلقت فضاء مغلقا قدر له استيعاب ذلك الكم الهائل من الجماهير يعجز عن إيوائهم أكبر مبان المدينة (Mumford,1964) ، ولقد عرفت الساحة نجاحا فريدا جعل منها فريدة عصرها في شكلها، انسجامها، تهيئتها وحجمها، حتى أن كل عنصر منها يعد أساسيا للمجموع ، بحيث يفقد قيمته الفنية بانفراده، وهي حقيقة إبداع فني في عصر كانت فيه الأشكال والأحجام غير محددة.

(Gibberd,1972,p185)

لقد استمرت الحياة الاجتماعية والمدنية في الساحة لقرون طويلة، ففي الماضي كانت الساحة مسرحا للتظاهرات والاحتفالات، المهرجانات وسباقات العربات، أيضا شكلت رمزا للسلطة ومكانا للالتقاء، وكذلك مكانا للمبادلات التجارية والتي كانت تظهر في المساء، حيث كانت تحتلها رفوف باعة الحبوب، الخضر، الفواكه وغيرها من المنتجات الزراعية، وهو الأمر الذي جعلها تبدو كساحة سوق، بالرغم من هذا حافظت الساحة على حيويتها تلك رغم ظهور العديد من الأسواق في المدينة وظلت القلب النابض التجاري والاقتصادي لها.

جسدت الساحة في القرن الخامس عشر مكانا للتضامن الاجتماعي، إذ فيها عكف العديد من القديس على تقديم الأكل والماء إلى المستضعفين والفقراء، كما برز هذا الحدث الاجتماعي في القرن التاسع عشر وهذا عند تفشي المجاعة، حيث تكفل اتحاد الحرفيين بتقديم المؤونة للجائعين المنتشرين بها، والساحة اليوم هي أحد رموز التصميم العمراني والهندسة المعمارية للقرون الوسطى، فلقد صنفت ضمن المنشآت التراثية في إيطاليا، وصارت قطبا جذابا للسواح الباحثين عن اكتشاف سر الأجيال العابرة .



المصدر: Schulz, 1977

الصورة 04: ساحة Del campo



الشكل 03: الشكل الصدفي لساحة Del campo المصدر: Schulz, 1977

II- 4 الساحات في عصر النهضة:

عاشت أوروبا حقبة سوداء في غضون القرون الوسطى، مست مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما سادت الحروب العنيفة أيضا، أما من جانب هندسة المدن وتصميمها فتظهر فضاءاتها في شوارع ضيقة ملتوية وعاتمة تحجب النور عن المساكن، وتزدحم فيها المحلات التجارية، في حين يقع على حوافها مبان بأشكال هندسية مختلفة، فتبدو بأبعاد صغيرة وأشكال غير منتظمة... انتظرت أوروبا القرن الخامس عشر لتعرف النور في تطورات فكرية، سياسية، اجتماعية وثقافية... عرفت بالنهضة الأوربية، إذ تعد

إيطاليا أول الدول التي إحتضنتها، ويتجلى ذلك خاصة في مدنها البندقية (Venise) وفلورانسيا (Florence) متبينة أعمال مهندسين مثل البارتي (Alberti)، برونيليشي (Brunillshi)، أما هذه النهضة فقال عنها تشولز: "...إرادة جديدة أيدها نظام هندسي متجانس يحقق اعتقادا عاما بالانسجام والكمال، يأخذ الهندسة المعمارية كعلم الرياضيات، يجسد ذلك باستعمال المنظور كوسيلة لوصف المجال أو إبراز تجانس الأشكال المركزية والمثالية". (Schulz,1977,p288)

لقد أظهر مصممو هذه الفترة الميل إلى تجسيد المدينة المثالية بهندستها المعمارية المتميزة عن الحقبة السوداء دون استقصاء إيجابياتها ومع إحداث تغييرات وتطورات في معمار وعمران المدن، فأسسوا هندسة معمارية تهتم باستعمال الهندسة في التصميم محققين انسجاما وتناغما بين التصميم المعمارية والعمرانية، أما فيما يخص الفضاءات العمرانية فنجد أن الشوارع صارت أكثر انتظاما واتساعا، حيث تسمح بوصول أشعة الشمس إلى الواجهات المنتظمة الفتحات لمبان ذات أشكال منتظمة وارتفاعات متقاربة، تعلوها أسقف تزيد المظهر رونقا، في حين ساحاتها العمرانية تبدو في تصاميم تميزها عن العصور السابقة، وكذا في أشكال منتظمة تحيط بها مبان خاصة كانت أو عامة كالمعارض وقصر الحاكم والكنيسة...، كما أصبحت الكنيسة من ميزات هذه الفترة، حيث فرضت هيمنة على المجال وأدارت صلاحيات سياسية ودينية، أما أرضية الساحة فلقد صارت مبلطة، ترسم عليها أحيانا زخارف في قمة الجمال (فسيفساء) وعادة تكون مهيأة بنافورات أو تماثيل أو نحوت، بالإضافة إلى ذلك احتلت الساحة مواقع مختلفة من المدينة وهذا ضمن مركزها أو عند المداخل العامة لها، وكذا عند مواقع تكشف عن مظاهر طبيعية خلابة كالغابات، حواف الأنهار وجوانب البحر، ومن بين أبرز ساحات هذه الفترة ساحة القديس ماركوس بالبندقية (الصورة 05).

II-4-1 ساحة القديس ماركوس بـ البندقية :

تعد البندقية من أروع المدن الإيطالية، ويقع عند مدخلها من جهة البحر وفي نقطة تقاطع عدة طرق كنيسة القديس ماركوس، عند جانبيها تتوضع إحدى أروع ساحات عصر النهضة التي عرفت بساحة القديس ماركوس، هذا الفضاء العام الذي يتمثل صورة لساحة اكتسبت شكلها عبر تطورات تاريخية بدأت من فضاء تابع للكنيسة التي بنيت عام 830 ق م، تواصلت عليه

مجموعة إنجازات إلى غاية عصر الملك نابليون (Gibberd,1972,p187)، في واقع الأمر يتكون من ساحتين متجاورتين تظهران على شكل يشبه الحرف اللاتيني "L" (الصورة 05) هما:

* الساحة الكبرى (place-piazza) وتمتد طوليا في العمق وهذا لإظهار الهندسة المعمارية لمبنى الكنيسة، كما أخذت شكل الحرف U وبأبعاد 176 م طول و 82 م عرض، وهي منفتحة على واجهة الكنيسة، أما الجوانب الثلاثة للساحة فتشكلها مبان هامة تترك في طابقتها الأرضي تراصفا من الأعمدة المتصلة عند الزوايا، وهذا ما خلق إحساسا بانغلاقها، في حين أرضية الساحة مبلطة ترتسم عليها خطوط تشكل فسيفساء تمتد إلى بؤرة شكلتها جوانب الساحة غير المتوازية، فكانت بذلك أثرا بارزا لنوعية الساحة المرنة. (Gibberd,1972,p187)

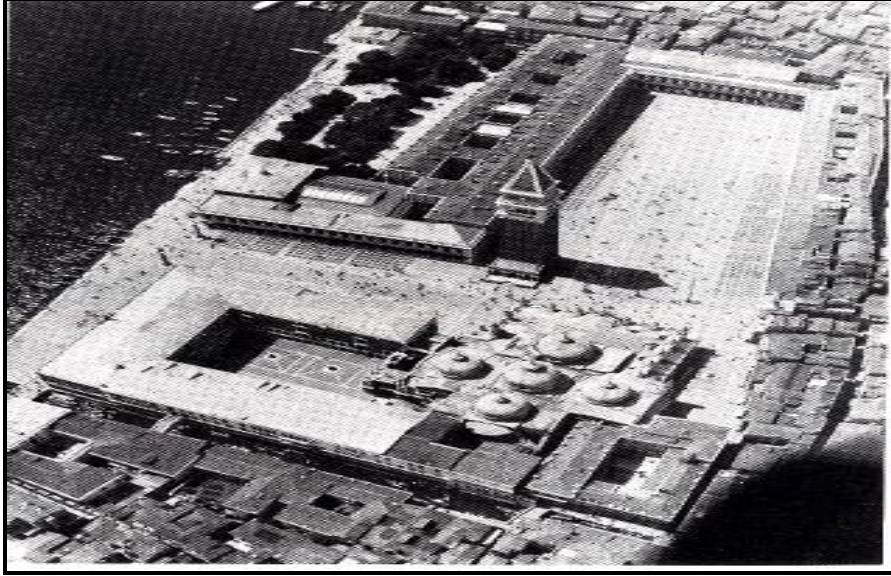
* أما الساحة الصغرى (placette-piazzetta) فقد أخذت شكلا مشابها للأولى، لكنه يفتح على واجهة بحرية وجزيرة القديس جيورجي (San-Giorgio)، وعند نهايتها يرتفع عمودان من الغرانيت أحدهما تخليدا للقديس ليون (1189م) والثاني للقديس تيودور (1329م)، أما عمق الساحة فهو مشكل من لوحات تضم الواجهة الجنوبية للكنيسة وجزء من الساحة الأولى وكذا برج الأجراس. (Gibberd,1972,p187)

تشارك الساحتان في مجموعة من المبان الهامة حيث تعد الكنيسة أكبرها أهمية وهذا من خلال عرضها هندسة معمارية بيزنطية متميزة وفريدة في سماتها الفنية، أما برج الأجراس المبني بالأجر فيستقر في زاوية منها وبارتفاع شامخ يقارب العشرة أمتار، مشكلا بذلك معلما استدلاليا بارزا فيها، بالإضافة إلى ظهوره كالمنازة بالنظر إليها من جهة البحر، بينما المكتبة تظهر بعمارة نسبت إلى عصر النهضة، في حين يعمل قصر الروج (palais-des-roges) على هيكل الساحة الصغيرة ويشكل حاجزا بصريا للساحة الكبرى.

تعرض ساحة القديس ماركوس بشكلها العام تنوعا في الهندسة المعمارية وتلاحما بين تراكيب وإنجازات من عصور مختلفة، ويبرز ذلك من خلال تداخلات بين المظهر الطبيعي والاصطناعي بها، وهو ما أحدث تناغما بين المبني والفراغ، كما أكسب الساحة صفات فريدة وبارزة حتى وصفها نابليون بأنها أروع ساحات أوروبا.

لقد تميزت الساحة قديما بالحوية والنشاط العالين، أما الحياة الاجتماعية فيها فتتشطها حركة السكان، الطلبة والتجار، بالإضافة للتجمعات السياسية، الاجتماعية والدينية، اليوم تعرف

الساحة انتقالاتا للوظائف السياسية والاجتماعية إلى أماكن أخرى من المدينة، في حين المقاهي والمطاعم والوكالات السياحية أخذت مكانا مجاورا بها، وهو ما حولها إلى قطب سياحي يستلهم انفعال وأحاسيس زواره.



الصورة 5: ساحة القديس ماركوس المصدر: Benevolo, 1993

II- 5 الساحات بعد القرن السابع عشرة (عصر الباروك) :

خلال القرن السابع عشر اكتسحت أوروبا عدة تطورات وتغيرات مست ميادين مختلفة كالسياسية، الاجتماعية، الثقافية، العمرانية وغيرها، وأهم ما ميزها هو ظهور فن جديد عرف بـ الباروك، حيث تعد إسبانيا السباقة إليه، بينما وصل إلى دول أخرى تحت اسم الكلاسيكية الحديثة، هذا الفن الذي اتسم بالديناميكية والنوعية جسد بادئ الأمر في التصميمات الداخلية والخارجية للكنيسة. "...في قمة العزة يريد البابا تخليد ذاكرته بمباني باذخة ومترفة تستعمل أشكالاً متحركة، وتثيرها تزيينات ملونة وواسعة، في اعتقاد منه أنه يعطي كل الوضوح لعاصمة المسيحية...". (Mumford, 1964)

عرف عصر الباروك ظهور نظريات جديدة في الهندسة المعمارية والعمرانية تهدف إلى إيجاد حلول للنسج العمرانية الكثيفة والمتضاربة في التصميم، فكان ذلك بوضع فضاءات مفتوحة ومنتظمة تستلهم إيجابيات القرون الوسطى وتحاكي الكلاسيكية الحديثة، وكذا الانتقال من التصاميم الثقيلة إلى الرسومات الخفيفة التي يلمع فيها النور بين المبني والفراغ، بذلك شكلت هذه الفترة مرحلة انتقالية بين العصر السابق والأزمة اللاحقة.

ولقد عرفت الساحة خلال هذه الفترة تغييرات تصميمية بارزة نتجت من استعمال المنظور، ظهر هذا الأخير على يد مازاسيو (Mazacio)، في حين عرف إدراجه في تصميم الساحات على يد معماريين أمثال فيلارات (Filarete) دجيورجيو (Degiorgio)، كما احتلت الساحات مراكز استراتيجية في المدينة وهذا بوقوعها في نقطة تقاطع المحاور الأساسية، وهو الأمر الذي جعل منها نقطة التقاء بارزة كما أكسبها صفة الانفتاح على المحيط.

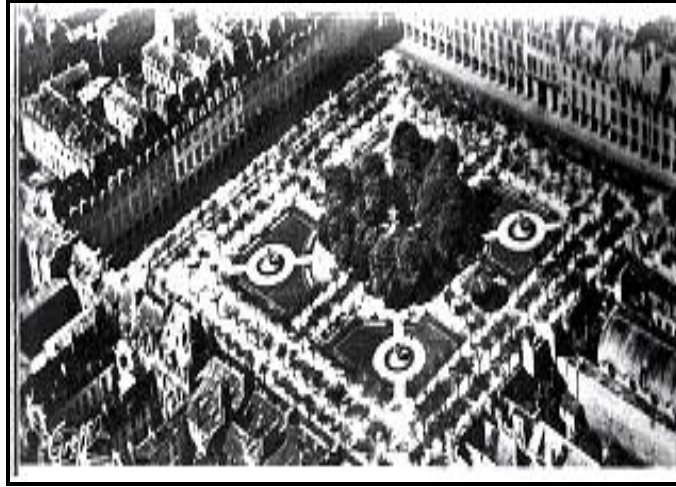
أيضا عرفت الساحات تحولا من الشكل غير المنتظم إلى المنتظم، الذي يضعها في أبعاد مدروسة تبرزها كعنصر مهيكّل في المدينة، أما التهيئة الداخلية لها فأصبحت أكثر تنوعا وذلك من خلال إدراج العناصر الطبيعية بشكل واسع كاستعمال النباتات والمجاري المائية وغيرها، بذلك قدمت تلك التحولات أنماطا جديدة منها، كما أنتجت ثلاثة أنواع من الساحات هي:

II-5-1 الساحات الاستعراضية الإيطالية :

عرفت كذلك بالساحات الأصلية، وسميت أيضا بساحات المسارح وهذا لأنها تعمل على عرض المبنى الهام والمهيمن كالكنيسة أو فندق المدينة أو دار الحاكم، وهذا محاولة منها لإبراز مختلف جماليات المبنى ومعمارها، ويظهر هذا الأخير وكأنه يعانق الفضاء، كما أنها أخذت أشكالاً منتظمة متطابقة مع الفراغ الناتج من توضع المباني الهامة، في حين بلغت درجة عالية من الجمال والانفتاح، وهذا من خلال الواجهات الناتجة من المعمار الرائع للمباني المهيكلة لها وكذا المناظر الطبيعية المنفتحة عليها.

II-5-2 الساحات الملكية أو الأرستقراطية الفرنسية :

ظهر النموذج الأول لها في ساحة الملك هنري الرابع بباريس (الصورة 06)، حيث سميت كذلك لتموقع تمثال الملك هنري في مركزها، أما اليوم فتعرف بساحة الفوج (Vosge)، لقد جسدت هذه الساحة مكانا لسياحة واستجمام الملك، بينما يبدي تصميمها أشكالا تتوزع بالتناظر إلى محاور وهمية تتطلق من قصر الملك، أما أبرز جانب منها فيتمثل في هيمنة المساحات الخضراء التي توزعت على مستويات مختلفة، وهو الأمر الذي جعلها أقرب إلى شكل الحدائق الخاصة. (Schulz,1977)



الصورة 6: ساحة الفوج - باريس المصدر: Mumford, 1964

II- 3-5- الساحات السكنية الإنجليزية :

إبداع فني ظهر في القرن السابع عشر، ومن أهم مصمميها المعماري أنجو جونز (Ingo-Jones) ، وتتسم بالتركيب الخفيف المستوحى من الكلاسيكية الحديثة (الساحات الملكية الفرنسية) والباروك الأوربي، كما احتلت أماكن وسطية بين الأبنية السكنية، في حين أخذت أشكالاً متشابهة تتأرجح بين المستطيل والمربع، وأطلق عليها كذلك اسم سكوار (The-Square) ويتواجد في مركز هذه الساحات حديقة والتي كانت في بداية ظهورها مسيجة، وهي تتشكل من عناصر طبيعية تتوضع بأشكال هندسية متكررة مجسدة لفكرة التناظر، في حين لم تظهر الساحة نقاطاً قوية بارزة، إذ يختفي نظام المحاور في تصميمها، وبالرغم من ذلك ظلت تشكل نسيجاً متجانساً ومنظماً موجه لخدمة الحياة المدنية العامة. (Schulz,1977)

II- 4-5- ساحة القديس بطرس :

شيدها الملك الإسكندر السابع ما بين 1675 م -1677م، بينما قام بتصميمها قرولانجو برنيني (Bernini-Gronlengo) جسدها فيها فكرة الانفتاح والانغلاق في آن واحد، ولقد أخذت الساحة شكلاً بيضوياً تحده سلسلة من الأعمدة المسقوفة تسمح باكتشافها من الداخل إلى الخارج، كما أنها تمتد بشكل متطاوّل رمزا لأذرع مفتوحة تنطلق من جسم الكنيسة وتحتضن الساحة، وهي دلالة قال عنها تشولز نقلاً عن برنيني: "... كنيسة القديس بطرس هي تقريبا أم الآخرين، لذا عليها أن تملك رواقاً بأذرع مفتوحة يحتضن الكاثوليكين لتؤكد لهم الوفاء، فكرة تجلب إليها الكفار لتتبر لهم الإخلاص الحقيقي..." (Schulz,1977,p288)

تظهر ساحة القديس بطرس بأبعاد كبيرة جسدت على أرضية مائلة، ويتوسطها نصب ذو شكل عمود تلتقي عنده كل الاتجاهات، كما يقسمها محور يمتد من بوابتها إلى مدخل الكنيسة ومرورا بالعمود المركزي (الصورة 07)، بحق لقد عكست الساحة في الساحة انسجاما بين الأفكار العمرانية والتفاصيل المعمارية وتناغما بين الأشكال والمباني والفضاء، وهو الأمر الذي جعل منها مسرحا ضخما ذو طابع فريد من نوعه حتى قيل عنها : "...أكثر المسارح فخامة وبدون شك مركز العالم الكاثوليكي والروماني ساحة القديس بطرس ...". (Schulz,1977,p288)



المصدر: Encarta 2003

صورة 07: ساحة القديس بطرس

إن أهم ما ميز الحياة العامة في الساحة هو تلك التظاهرتين الدينيتين كل سنة، حيث في الأولى يعمد البابا ومن على شرفة بالكنيسة إلى مباركة ذلك الكم الهائل من سكان الفاتيكان، أما في الثانية فالبابا ومن خلال نوافذ مسكنه الخاص يرسل مباركته إلى حجاج الكنيسة، هذان المناسبتان مكنتا الكثير من الرومانيين وغيرهم من اكتشاف جمال الساحة وروعة دلالتها العمرانية والمعمارية، كما جعل منها وجهة للسواح والحجاج على مدار السنة.

II- 6 الساحات في عصر الثورة الصناعية :

عرفت أوروبا في القرن التاسع عشر ثورة صناعية عالية صاحبته تطورات في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية... الأمر الذي أدى إلى توسع وتضخم المدن، وهذا نتيجة هجرة الكم الهائل من اليد العاملة من الريف إلى المدينة طلبا للعمل في الصناعة وكذا الاستفادة من خدمات وتطور المدينة، ولقد رافق ذلك اختلال سببه مشاكل الاهتمام بإسكان المهاجرين والعمال، في ظل هذه الظروف أصبحت الشوارع تزدهم

بالسيارات، بينما الساحات العامة تحولت إلى مواقف لها، وهو الأمر الذي أفقدها هدوءها وحرم مستعمليها من التمتع بها، كما أنه تم تصميمها كعنصر منظم للحركة في مكان يتقاطع فيها كم هائل من الطرق، الشيء الذي صعب من الوصول إليها خاصة للراجلين وحولها إلى فضاء يجمع مختلف أشكال التلوث (البصري، السمعي، الجوي...).

لقد رافق الثورة الصناعية ثورة في إنجاز المباني والمنشآت المنافسة للساحات كالأسواق المسارح، دور السينما وغيرها من المباني والتي أدرجها بعض العمرانيين ضمن الفضاءات العامة، في حين تراجع مساحة الساحات العامة نتيجة الصراع على الفراغات الشاغرة قصد إنجاز المباني، بذلك أصبحت الساحات عاجزة عن احتواء التظاهرات الكبيرة وخاصة تلك التي ميزت هذه الفترة كالإضرابات والثورات.

يمكن القول أن الساحات العامة عموما فقدت ماهيتها، جمالها، مكانتها ودورها في أداء وظائفها المختلفة مقارنة بتلك التي كانت تكتسبها في العصور السابقة كعصر الباروك، عصر النهضة، القرون الوسطى...، إذ لم يبق إلا القليل منها في صراع دائم كساحات المدن الإيطالية والإسبانية، وتداركا لهذا الوضع الذي آلت إليه المدينة وفضاءاتها ظهرت تيارات مختلفة من بينها:

II - 6-1 تيار التخطيط المنتظم :

يعد البارون (Haussman:1891-1809) أبرز رواده ومرجع أغلب عمليات التهيئة العمرانية والفضائية، حيث عرف العديد من النجاحات في تخطيطاته والتي تستعمل الأشكال الهندسية والتناظر، بالإضافة إلى إسهام الطرق الطويلة المحاطة بالأشجار(نهج)، أما الساحات العامة فأصبحت وظيفية أكثر منها جمالية، ويعكس ذلك غياب في العلاقة بين الفضاء ومعمار المباني، أما أهميتها فتبرز بواسطة المبنى المهيمن، والمدينة من خلال أفكار هصمان تتجسد من خلال الفضاءات الوظيفية، شوارعها الواسعة وكذا حدائقها العامة والساحات، وهو ما أعطاها جمالا تذكاريًا، لكن وعلى الرغم من ذلك تجاهل هصمان البنية الاجتماعية لها.

II -6-2 تيار المثقفين :

من أبرز رواده كاميلوسيت (Camillo-Sitte:1903- 1843) الذي عكف على دراسة ساحات القرون الوسطى وعصر النهضة واضعا إياها في كتابه << فن بناء المدن >> والساحة بالنسبة لـ سيت تمثل العنصر الأساسي لاكتشاف الفضاء الحضري، وهي فكرة مخالفة لما قدمه هصمان الذي يرى بأن الفضاءات العامة هي جزء من تركيب المدينة حيث تظهر أهميته من أهمية المبنى المهيمن، كما قدم سيت اقتراحات عديدة حول شكل وموقع وأبعاد الساحة ونهاية الشوارع عندها وانفتاحها وانغلاقها وعلاقتها مع محيطها ومكان النصب التذكارية فيها...، كما استلهم من الماضي سر نجاح ساحاته وجمالها، فترجم ذلك في نماذج تبرزها كعنصر مكون وأساسي للفضاء الحضري وبرموز قوية وحديثة.

II -6-3 التيار الطوبوي Utopists :

يعد أومان (R.Omen)، ابنزير هاوارد (E.Howard)، لور (G.lour) من رواد هذا الاتجاه، وترتكز أفكارهم على النظرة المثالية للطبيعة الإنسانية، والتي تقوم على تقوية العلاقات الاجتماعية، في حين يقللون الاهتمام بالاعتبارات الجمالية، أما تصورهم للمدينة فيختلف حسب أحلامهم، كما تعد المدينة الحدائقية من تصميم هاوارد من أبرز الأعمال، حيث تظهر الساحات العامة فيها كثيفة النباتات والأشجار.

إن إبراز وتقديم مختلف تيارات عصر الثورة الصناعية وذكر تصوراتهم للمدينة يبرز مكانة الساحة العامة والتي تتأرجح بين الإهتمام وعدم الإكتراث، كما يكشف عن عمق الإشكاليات التي واجهتها الساحات العامة.

II -7-7 الزمن المعاصر (انطلاقاً من القرن العشرين):

إن نشأة الساحة في إطار تهيئة المدن الجديدة أو إعادة هيكلة الأنسجة القديمة ارتبط أساساً بفكرة التهيئة الخارجية للمحيط، إذ نشهد تطور تصميم الساحات ومنذ ظهور المدينة الصناعية إلى غاية الوقت الحالي في مراحل والتي أشار إليها سابلي (sablet,1988) كالآتي:

II -7-1 الجيل الأول :

يعبر عن المرحلة التي تلت الحرب العالمية الثانية وما خلفته من آثار تدميرية على المباني والفضاءات المشكلة بها، فكان الهدف العام للجهات المعنية هو البناء والإسكان، ولقد

صاحب ذلك سياسة بسيطة مالت إلى الإخفاق والإهمال للفضاءات الخارجية، فانعكس ذلك في ضعف وبساطة الأفكار التي كشفتها تهيئآت وتصاميم عديدة، أما الساحات فبدت بسيطة، إذ تظهر في فراغات غالبا ما تحتلها السيارات، أما تهيئتها فتتلخص في غرس بعض السلاسل الشجرية بالإضافة إلى تأنيث عمراني موزع بعفوية، وهو الأمر الذي جعل الحركة فيها تبدو غير منظمة أو موجهة، كل تلك الجوانب أفرزت ساحات أقل دلالة فنية وتفنن إلى الروح الجمالية.

II -7-2 الجيل الثاني(مرحلة بداية التهيئة):

عرفت هذه الفترة تطبيقات جديدة للمدينة وفضاءاتها، حيث ظهر ما يعرف بالتطبيق، وهو تقسيم المدينة إلى مناطق أو قطاعات قصد تيسير التحكم فيها، ويدير ذلك قوانين ومعايير مضبوطة، إلا أنه سجل عدم جدوة تلك القوانين والمعايير وخاصة على مستوى الساحات المدمجة مع التجهيزات والمشاريع الكبرى كنادي الشباب، ديار الثقافة، قاعات الرياضة والمساحات الخضراء، بالإضافة إلى ذلك ظلت عملية التطبيق بارزة بقوة على مستوى النسيج القديمة أين عملت على تحطيم البنية الحضرية وتفكيك الروابط الاجتماعية، أيضا عرفت هذه الفترة تطبيق لمقررات ميثاق أثينا، الذي كان اهتمامه الأول هو تحقيق أربعة عاصر للإنسان في المدينة هي: السكن، العمل، النقل والاستجمام، إلا أنه سجل غياب اهتمام واضح بالفضاءات العامة والساحات على الخصوص.

II -7-3 الجيل الثالث :

ظهر وعي كبير لدى المماريين والعمرانيين بأهمية الفضاءات العامة وعلاقتها بالمباني، وظهر ذلك من خلال تفسيرهم للصور والمظاهر التي تعرضها المدينة، وكذا استعمالهم أشكالاً بسيطة وأقل صلابة ومع التلاعب بالألوان والرسومات والواجهات ومعمار المباني، أما الفضاءات العامة فقد عرفت تزيينا وتصميما أفضل، وتجلى ذلك في استعمال مواد بناء جديدة لأرضياتها، وتنسيقها برسومات فنية، كما تم تهيئتها بأشجار تتوزع بطرق منظمة ومدروسة، بينما تم تأنيثها بالمقاعد والحاويات وغيرها...، بالإضافة إلى كل ذلك فلقد تمت إعادة دراسة أبعاد الفضاءات العامة والساحات حيث أصبحت أقل أبعادا وأكثر انتشارا، وذلك لعدة عوامل نذكر منها ما يلي:

□ ظهور سياسات عقارية تدعو إلى ترشيد وعقلنة استعمال فضاءات المدينة.

• اختلاف أهمية العقار وذلك حسب مكانته داخل المدينة.

• إمكانيات التحكم في التسيير والتصميم للفضاءات.

• إتساع المدن وظهور أحياء وتجمعات جديدة.

إن الاهتمام بهذه الفضاءات يبحث في إيجاد وفرض ذاتيتها ونفسها في المدينة، وذلك بخلق

فضاءات مرغوبة وحيوية، إلا أنه ورغم ذلك رافق الساحات سلبيات في إعدادها من قبيل:

• عمليات تهيئة هذه الفضاءات بقيت ضعيفة لنقص الغطاء المالي لها.

• بقاء معالجة هذه الفضاءات كمساحة حرة في المدينة.

تطويرها كان ضعيفا لأنها مرآة لمخططات فنية تجسد الجمال ولا تهتم بالعمق والوظيفة.

عموما وخلال هذه الفترة ظلت الساحات والفضاءات العامة تعبر عن تصاميم شكلية تعكس

ضعفا في الوظيفة المنوطة بها، وكذا في علاقتها مع المباني، وهو ما جعلها تبرز كسلبيات

عملية التعمير في المدينة.

II -4-7- الجيل الرابع :

عرفت هذه الفترة تكاثف جهود اختصاصات عديدة تهدف لتحسين وترقية واقع المدينة،

كما أصبحت الوظيفة الدافع الرئيسي والقوي لتهيئة وتصميم المجالات، فظهرت عمليات

ودراسات دقيقة ومتعددة الجوانب، دعمتها أدوات ووسائل تحليلية للمجال، كما أن عمليات

تشخيص أمراض ومشاكل الفضاءات من طرف علماء الاجتماع مكن من وضع تحاليل ميدانية

واجتماعية أفضل وقدم وعيا ومعرفة أوسع لردود أفعال مستعمليها، بالإضافة إلى ذلك

فالتدخلات الفنية صارت أكثر اتساعا واستعمالا، وكل تلك الجوانب بشرت باستعمالات ودلالات

جديدة للفضاءات العامة والساحات .

إن تطور الفضاءات العامة كان نتيجة لإدراك العلاقات المتبادلة بين المباني ومجالاتها من

جهة، ومن جهة ثانية إدراجها ضمن تنظيم المحيط الحضري، فأصبحت الفضاءات العامة أكثر

تحسسا من طرف المستعمل، ويتجلى ذلك من خلال تدخلات ميدانية تمثلت في تهيئة أماكن

التوقف والممرات، أماكن الجلوس واللعب...

II- 5-7- الجيل الخامس (الشكل الحضري):

سجل في هذه الفترة الاهتمام الأوسع بالفضاءات العامة كعنصر رئيسي في التهيئات الحضرية، حيث صارت تخضع لدراسات مسبقة بغية الوصول إلى تصاميم أكثر تجاوبا وتوافقا مع رغبات السكان وطموحاتهم، أما الشكل الجديد للفضاءات العامة فأصبح يعبر عن تصاميم تعرض دلالات ورموز أوسع، وهو ما أكسبها فعالية أكبر في النسيج الحضري، كما أن استعمال الإضاءة وبتعايير جميلة جعلها أكثر حيوية واستعمالا لساعات أطول من اليوم، أما إنجاز الساحات فأصبح يضع أرباب العمل أكثر من مجسد للتصميم، بل عضوا فعالا وشريكا في تخطيطها، ليظهر بذلك أن التطور الذي عرفته هذه الفضاءات ينطلق من عاملين أساسيين في تلبية احتياجات وطموحات المستقبل ويتمثلان في :

إيجاد توازن بين السكان والمدينة.

- الوعي بسلوكيات الأفراد والجماعات حسب التركيب والموضع الفيزيائي للفضاءات.



المصدر: Encarta 2003.

الصورة 08: ساحة السلطات الثلاثة برازيليا

خلاصة:

تبرز كل حقبة من تاريخ المدينة خصوصيات واختراعات خاصة بها، وتعبيرا عن الأفكار والحساسيات الموجودة حينها، والساحة كأحد أشكال الفضاءات العمرانية بها لم تسلم من التغيرات والتطورات التاريخية، هذا المكان والذي هو فضاء للتعايش ومختلف المبادلات السياسية الثقافية، التجارية والاجتماعية...، ارتبط بأنشطة مختلفة من الحياة العامة للمدينة، كما أدى وظائف متنوعة وظهر في أشكال مختلفة عبر الزمن كالأقورة Agora، الفوروم Forum

في العصور اللاتينية، الرحبة في القرون الوسطى، ساحة السوق في العصور الكلاسيكية، الساحة الملكية في العصر الباروك، ساحة الحرية في عصر النهضة...، كما عرف إحداث تهيئات جديدة وتخصيص لمجالاته في الوقت المعاصر.

وعموما يمكن إيجاز تطورات هذا الفضاء في اتجاهين متعاكسين :

الاتجاه الأول : ويعبر عن تطور في شكل ومظهر الساحة، إذ عرفت هذه الأخيرة تغيرات انطلاقا من ظهورها كفراغ غير مخطط موجه لاستعماله كسوق أو مكان للتجمع، كما أنه لم يحمل شكلا واضحا في معظم الحالات، ثم تحول بعدها إلى فضاء أكثر تنظيما تابع للمباني الهامة كالكنيسة، مبنى البلدية، الفندق والمسجد... حيث يعمل على إبراز تفاصيله المعمارية والعمرانية وأداء وظائف تتعلق بتلك المباني، ليصبح بعد ذلك فضاء حرا يهتم بالتهيئة وإدماج للمساحات الخضراء.

ولعل مختلف التطورات الشكلية والمظهرية التي عرفتتها الساحات هي نتيجة تطور في الأفكار المختلفة لتنظيم المدينة ونشأتها.

الاتجاه الثاني : ويعبر عن التطور والتغير في الوظائف التي أدتها الساحات، فبعد أن كانت تشكل فضاء للحياة العامة أدى وظائف مختلفة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والتجارية... تراجع ذلك في الكثير من الساحات الحالية كما عرف أداء وظائف جديدة كتتنظيم الحركة وغير ذلك، ولقد أرجع هذا التغير إلى بروز منشآت جديدة منافسة للساحات كالمركبات الرياضية ودور الثقافة ومراكز الاستجمام...، مما أثر سلبا على هذه الأماكن وغير في مفهومها، وهذا في عصر عرف بالسرعة والتطور التكنولوجي والعمراني والمعماري للمدينة. وبناء على ذلك يمكن القول أن قيمة ونوعية الساحات فإن حاجة المدينة تبقى قائمة مادامت هذه الأماكن قادرة على احتواء وظائف عديدة وأداء أدوار مختلفة وبالإضافة إلى كونها مكانا للعلاقات الاجتماعية والتظاهرات العفوية والنشاطات الحرة والإعلانات وغيرها من النشاطات التي تعبر عن روح الحياة الحضرية داخل المدينة.